الوحدة العربية في عهد الثورة الاشتراكية

الوحدة شعار جميل ، وهدف جليل . وما أعظم أن يتحد أكثر من مائة مليون عربى من المحيط إلى الخليج . جمعتهم « وحدة اللغة » التى تصنع وحدة الفكر والعقل ، وجمعتهم « وحدة التاريخ » التى تصنع وحدة الضمير والوجدان ، وجمعتهم « وحدة الأمل » التى تصنع وحدة المستقبل والمصير [1] .. كما جمعتهم وحدة الإيمان بالله وبالوحى وبالآخرة ، وجمعت أكثر من تسعين فى المائة (٩٠٪) منهم وحدة العقيدة الإسلامية ووحدة النظم والتقاليد الإسلامية .

ما أعظم أن تضم هؤلاء « كتلة عربية واحدة » تكون نواة أو مرحلة لكتلة إسلامية أكبر منها .

ما أعظم أن يتحد هؤلاء فى عالَم لا مكان فيه للكيانات الصغيرة . وما أحوج العرب بالذات إلى الوحدة فى هذه المرحلة التى يواجهون فيها حرباً مصيرية .

ولكن هل استطاعت الاشتراكية الثورية العربية تحقيق أمل الوحدة الذى تجيش به صدور الملايين وعشرات الملايين من أبناء هذه الأمة ؟

● **فشل الوحدة بين مصر وسوريا :**

واقع الأحداث يقول : إن الوحدة جاءت تسعى على قدميها إلى الثورة العربية - بدون جهد منها - فكانت وحدة سوريا ومصر وقيام « الجمهورية العربية المتحدة » التى استقبلها العرب فى كل مكان - فيما عدا أذناب الشيوعية - بالترحيب والتأييد ، مستبشرين بتلك الدولة الفتية الغنية ، التى « تُوحِّد ولا تُفرِّق ، تُقوِّى ولا تُضَعِّف ، تحمى ولا تهدد ، تصون ولا تبدد ، تشد أزر الصديق ، ترد

---

(١) من « الميثاق » .

كيد العدو » . إلى آخر ما جاء فى الخطاب الافتتاحى لمجلس الأمة الموحَّد .

ولكن الفرحة بهذه الوحدة لم تدم طويلاً .

فإن أساليب القهر والإرهاب فى الحكم ، ومحاباة بعض الناس بالمناصب والمغانم ، والسكوت على أخطاء الآخرين ميلاً مع الهوى ، والاتجاه إلى الاشتراكية الثورية ممثلة فى التأميمات والمصادرات ، إلى غير ذلك مما اتسم به الحكم الثورى القصير النظر ، الضيِّق الأفق ، جعل الشعب السورى الذى كان وراء الوحدة بقضه وقضيضه ، يسعى إلى الانفصال ، لا حباً فيه ، ولكن كراهية لعهد الوحدة وما قاسى على يديه .

وأصدر « المواطن العربى الأول » الرئيس شكرى القوتلى - الذى كان أول ساع إلى الوحدة . متنازلاً عن رياسته لجمهورية القُطر السورى - بياناً تاريخياً يؤيد فيه الانفصال ، منددا بنظام الحكم ، الذى كان ألف عين وعين ، ولكنه لا يرى بواحدة منها ، ويُحمِّله فشل تجربة الوحدة التى استحالت إلى سراب [1] ... كما قال .

* *

● خيبة الأمل فى وحدة وادى النيل :

وبمناسبة فشل الوحدة بين ومصر وسوريا ، يجدر بنا الحديث عن مصير وحدة أخرى ، لعلها كانت أقرب من تلك ، وهى وحدة مصر والسودان : وحدة وادى النيل ، التى كانت هدفاً مشتركاً لكل القُوَى الوطنية [2] فى مصر منذ عشرات

---

(١) انظر فى كتاب « شكرى القوتلى يخاطب أمته » خطابه بعنوان : « لماذا استحالت الوحدة إلى سراب » ؟ نشر مركز الوثائق المعاصرة ببيروت .

(٢) تحددت الأهداف الوطنية المصرية فى مطلبين : جلاء الإنجليز ووحدة وادى النيل .

السنين ، حتى قال شريف باشا قديماً كلمته المشهورة « إذا تركنا السودان ، فإن السودان لا يتركنا » ! إشارة إلى ما بين البلدين من روابط الأخوة والجوار وتشابه نمط العيش ، وتشابك المصالح ، فضلاً عن الدين واللغة والتاريخ وغيرها .

ماذا كان مصير هذه الوحدة المرجوة ؟

لقد تبخّر هذا الأمل ، وذهب أدراج الرياح . وعجزت « الثورة المصرية » أن تزرع الثقة بالوحدة فى نفوس المتشككين ، وأن تقطع الطريق على المشككين ، برغم الملايين التى بُذلت لشراء زعماء العشائر والطوائف وغيرهم . لأن الوحدة بين الشعوب لا تقوم برشوة حفنة من الطامعين ، ولا برقصة الحرب بين البدائيين !

وأكثر من ذلك أن الحزب الذى كان ينادى بوحدة وادى النيل داخل السوادن - الحزب الوطنى الاتحادى ، صاحب الأغلبية - نفض يده من الوحدة ، ونأى بجانبه عنها .

والسر فى ذلك لا يعود إلى نفور أو خوف من الوحدة مع الشعب فى شمال الوادى ، بل إلى عدم الثقة ، والخوف من طبيعة الحكم المصرى القائم وتطلعه وأساليبه وطغيانه ، لا فى معاملة خصومه فحسب ، بل فى معاملة أنصاره وأركان قيادته أنفسهم ، من رشاد مهنا ، إلى محمد نجيب - الذى كان له فى نفوس كثير من السودانيين مكان كبير - إلى الإخوان المسلمين ، أو مَن ساند الثورة وأيّدها .

وهكذا آثر الأشقاء السودانيون العيش فى حدود إقليمهم مستقلين - وإن شئت قلت : منفصلين - على وحدة مخوفة العواقب ، محفوفة بالمخاطر .

* *

● شعار وحدة الهدف ومعناه :

وحين فشلت الوحدة بين مصر وسوريا - نتيجة العجز والجهل والغرور والإرهاب - رفعت الثورية فى مصر شعاراً جديداً تبرر به خيبة الأمل فى

استمرار تلك الوحدة المنشودة . كما تبرر به حملات الطعن وقذائف السب والشتم فى الآخرين .

ذلك الشعار هو : وحدة الهدف لا وحدة الصف . وقال فى ذلك الميثاق :

« إن مفهوم الوحدة العربية تجاوز النطاق الذى كان يفرض التقاء حكام الأمة العربية ، ليكون من لقائهم صورة للتضامن بين الحكومات ... إن مرحلة الثورة الاجتماعية تقدمت بهذا المفهوم السطحى للوحدة العربية ، ودفعت به خطوة إلى مرحلة أصبحت فيها وحدة الهدف هى صورة الوحدة .. إن وحدة الهدف لا بد أن تكون شعار الأمة العربية فى مرحلة تقدمها من الثورة السياسية إلى الثورة الاجتماعية . ولا بد أن يُنبذ الشعار الذى جرت تحته مرحلة سابقة من النضال الوطنى هى مرحلة الثورة السياسية ضد الاستعمار » ..

إن هذا الكلام يعنى أمرين :

أولاً : أن اللقاء بين حكام العرب فى صورة تضامن من أجل قضية مشتركة - كمحاربة الاستعمار - قد انتهى زمنه .

ثانياً : أن لا أمل فى وحدة بين بلدين تختلف أهدافهما ، ويُقصد بالاختلاف هنا : أن يكون أحدهما ثورياً تحررياً أو يسارياً ، والآخر محافظاً يمينياً أو رجعياً ، حسب تصنيفهم . وإنما تتحقق الوحدة بين بلاد اتحدت أهدافها ، وجمع بينها التحرر والاشتراكية والثورية .

* *

● إخفاق هذا الشعار ومخالفة أصحابه له :

وقد أثبتت الأيام والوقائع خطأ الأمر الأول ، وأصبح الذين نادوا به بالأمس هم أول مَن خالفوه من بعد ، تحت ضغط الظروف القاهرة ، وكان قائل الكلام السابق هو الذى دعا إلى مؤتمر قمة عربى ليلتقى حكام العرب فى صورة تضامن ، من أجل قضية تحويل نهر الأردن ، ومنع إسرائيل منه !

وتكررت اللقاءات على هذه الصورة قبل النكبة - النكسة - وبعدها ، كلما احتاج الثوريون إلى إسكات ألسنة الآخرين عما يجرى فى الداخل كما فى مؤتمر الدار البيضاء . فلا بأس حينئذ من التعاون مع « الرجعيين » حتى تتم تصفية القوى الإسلامية فى صمت مطبق ، وفقاً لمبدأ : « اسكتوا عنا نسكت عنكم » .. أو إلى أخذ موافقة الآخرين على نتائج أمر لم يُستشاروا فى مقدماته .. أو لأخذ المعونات من « المال العربى » ليكون فى خدمة المعركة وترميم آثار العدوان !

لقد فات « أصحاب الشعارات » أن مرحلة النضال ضد الاستعمار - التى اقتضت صورة الوحدة القديمة - لم تنته بعد ، ما دامت إسرائيل باقية . فالثورة السياسية ضد الاستعمار قد خلفتها ثورة أعتى منها وأبقى ، هى الثورة السياسية العسكرية ضد الصهيونية !

ولكن يبدو أن الصهيونية أو إسرائيل لم تكن فى بؤرة شعورهم يوم رفعوا ذلك الشعار ، وظنوا أن حرب إسرائيل ستظل فى إطار الخطب والكلام فى الهواء .

والحق يقال : إنه لولا « الدعم العربى » الضخم من « الرجعية العربية » لوقفت الثورية - بعد النكبة - عاجزة شلاًء أمام الخراب الكبير الذى خلفته الهزيمة المروعة فى حزيران (يونية) ١٩٦٧ . والفضل فى ذلك لوحدة الصف لا لوحدة الهدف المدَّعاة !

وهذا ما جعل الرئيس المصرى الراحل يقول فى ١٦ إبريل ١٩٦٨ : « حينما نتكلم عن الوطنية العربية أو القومية العربية ، يجب أن ننسى فى هذه المرحلة مفاهيم أخرى كثيرة .. الوطنى اليمينى ، كالوطنى اليسارى ، لأن إسرائيل حينما احتلت الضفة الغربية للأردن لم تفرِّق بين وطنى يمينى ، ووطنى يسارى » .

* *

● مصير الوحدة بين الثوريين :

وإذا كان الأمل فى الوحدة بين المحافظين أو الرجعيين وبين الثوريين أو التحرريين ، وبعبارة أخرى : بين اليمين واليسار - قد أصبح مستحيلاً ، نتيجة لاختلاف الأهداف بين هؤلاء وأولئك ، فقد عاد الأمل معقوداً فى وحدة الثوريين الاشتراكيين ، أو اليساريين ، وقد قبضوا على أزمة الحكم فى عدد من البلدان فى وطننا العربى !

ترى هل تحقق هذا الأمل بين أصحاب « الهدف الواحد » الذين ينادون بالقومية العربية ، ويدعون إلى « الوحدة ، والحرية ، والاشتراكية » ؟

لننظر ماذا تقول الأحداث :

● الوحدة الثلاثية بين مصر والعراق وسوريا :

فى ١٧ نيسان (إبريل) ١٩٦٣ ، وُقِّع ميثاق « الوحدة الثلاثية » بين مصر وسوريا والعراق ، وهتفت لهذا الميثاق الحناجر ، وصفقت الأيدى ، وانطلقت الأناشيد والخطب والأحاديث والمقالات تمجد الوحدة الجديدة التى انتفشت لها الاشتراكية الثورية انتفاشة الطاووس ، فقد رأت فى هذه الوحدة الثلاثية ، تعويضاً عما أصابها بخيبة الوحدة الثنائية من قبل . وآن لها أن ترفع رأسها مباهية مفاخرة .

وكتب أديب كبير [١] افتتاحية مجلة تصدر عن أكبر وأعرق معهد إسلامى وتحمل اسمه « الأزهر » يفضِّل هذه الوحدة التى أقامها « ناصر » على الوحدة التى أقامها صلاح الدين ، بل الوحدة التى أقامها محمد رسول الله ﷺ !!

لأن الوحدة المحمدية أساسها العقيدة والعقيدة قد تذوى وتحول (!!) .

و « الوحدة الصلاحية » أساسها عسكرى قد يضعف ويزول !

---

(١) أحمد حسن الزيات رئيس تحرير مجلة الأزهر حينئذ .

أما « الوحدة الناصرية » فأساسها الاشتراكية فى الرزق ، والديمقراطية فى الحكم ، والحرية فى الرأى .. إلخ !!

وشاء القَدَر أن توأد هذه « الوحدة الناصرية » - كما سماها - فى مهدها ، وأن تفشل محادثات الوحدة قبل أن تصل المجلة إلى قرائها فى العالم العربى والإسلامى . وكان هذا الفشل الصارخ أبلغ رد على أن مَنْ تطاول على وحدة العقيدة بوحدة الاشتراكية !! وعلى وحدة حقيقية أسسها سيد البَشر ، بمشروع ! وحدة يؤسسها فلان أو علان .

وقد نُشرت مباحثات هذه الوحدة بعد ، فكانت دليلاً على أن الهوة سحيقة بين أطراف المتباحثين « الوحدويين » ! وسيمر بالقارىء بعد ذلك فقرات مما سجلته محاضر جلساتها .

* *

● دمشق البعث وبغداد لا تتحدان !

ومما يستحق التسجيل والتنبيه أن بلدين عربيين متجاورين - هما سوريا والعراق - يحكمهما حزب عقائدى تقدمى ثورى اشتراكى يسارى « وحدوى » [1] قومى !! واحد .. هو « حزب البعث العربى الاشتراكى » قد عجزا عجزاً تاماً عن مجرد التضامن والتقارب بينهما ، فضلاً عن إتحاد أو وحدة ، ولم تُغن عنهما وحدة الهدف ، ولا وحدة الحزب ، ولا وحدة القيادة القومية ، لأن اختلاف الارتباطات والولاءات ، واختلاف المطامع والشهوات ، كان أعمق وأقوى من وحدة الشعارات واللافتات !

هذا مع أن شعبى البلدين بينهما من وشائج القُربَى ، وروابط الجوار ، وأسباب التواصل ، كل ما يوحِّد بين الشعوب ويربطها بعضها ببعض ، ولكن العقبة فى سبيل وحدتهما ، هى الحكام الثوريون العقائديون الوحدويون !!

* *

---

(١) الصواب فى النسبة إلى وحدة : وحدى - بدون الواو - ولكننا نستعملها بالواو جرياً على ما سموا به أنفسهم .

● حتى التضامن بينهم مفقود :

وليت الأمر وقف عند حد العجز عن تحقيق الوحدة بين الثوريين الاشتراكيين ، فإن الليبراليين من قبل عجزوا عن تحقيق وحدة أو اتحاد بينهم ، ولكنهم لم يعجزوا عن إقامة قدر من التفاهم والتقارب بينهم ، وخاصة فى الملمات والأزمات .

أما الفئات الثورية الاشتراكية « الوحدوية » فلم يقم بينها إلا التشاتم وتقاذف اللعنات ، وتبادل الاتهامات .

* *

● رأى الثوريين بعضهم فى بعض :

ويحسن هنا أن نذكر شيئاً قليلاً مما قال بعض هؤلاء فى بعض ، لنرى : هل يمكن أن تتحقق وحدة عربية على أيدى هؤلاء الناس ؟

● رأيهم فى البعثيين واتهامهم بالتآمر والعمالة للاستعمار :

قال الرئيس عبد الناصر فى خطابه فى الإسكندرية فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٦٣ : « حزب البعث فرض الإرهاب بالحديد والنار .. إنه حكم فاشيستى لا يمثل الشعب .. بنى وجوده على الإرهاب والسجون » !!

وفيه أيضاً قال :

« إن حزب البعثيين اليوم يتحالف مع الاستعمار ، ومع أعوان الاستعمار » .

وقبل ذلك قال فى مباحثات الوحدة الثلاثية :

« إذا كان الحكم فى سوريا بعثياً ، فلستُ على استعداد للجلوس مع البعثيين السوريين للحديث عن وحدة جديدة » .

وفيها قال أيضاً : « بالنسبة للعملاء ، احنا دفعنا لحزب البعث أموال .. أموال كثيرة ، سبعين ألف جنيه فى فترة متقاربة ، وأربعين ألف جنيه .. والمبلغ استلمه ميشيل عفلق » .

وبتاريخ أول مايو ١٩٦٥ قال : « طبعاً البعثيين دايماً ناس كذابين ، ناس متآمرين ولا يمكن لهم أن يحفظوا الكلمة .. وحكمهم فاشيستى مبنى على الإرهاب .. حكم البعثيين مصطنع . الواحد يستغرب : لما شايفين البلد كلها ضدهم ، إيه هى الأهداف اللى قاعدين من أجلها ؟ بيقولوا وحدة وحرية واشتراكية .. وغدروا بالوحدة ، وغدروا بالحرية ، بقيت سجون ومعتقلات !! والاشتراكية اللى يتكلموا عليها اشتراكية مزيفة » .

وفى ٧ يونيه ١٩٦٥ كتبت جريدة « الجمهورية » القاهرية تقول :

« البعثيون مسئولون بالدرجة الأولى ، لأنهم أضعفوا قوة الجيش السورى فى وجه العدو ، ليستطيعوا أن ينشئوا جيشاً لحزبهم فحسب ، فطردوا من هذا الجيش خيرة قياداته وكفاءاته . وهذا موقف ثابت لهم لم يتبدل ، ولا يبدو أنهم ينوون التراجع عنه .

« ولقد رأيناهم وهم يشتمون أكثر الأقطار العربية ، ويصرون على ضرورة « التعاون من فوق الخلافات » !

« أما فى جيش سوريا ذاته فناطقهم الرسمى كان ما يزال أمس الأول يقول من إذاعة دمشق فى تبرير إضعافهم له : « إن كل حكم لا بد أن يستبعد العناصر المعارضة له » . المهم - أولاً - هو الحكم « حكمهم ، سواء رضى الشعب أو غضب ، قوى الجيش أو هزل . المهم هو الحكم ، حكمهم ، لا فلسطين ولا خطر العدو على سوريا ، وعلى بقية التراب العربى . تماماً كما كان المهم - أولاً - هو الحزب ، يوم كان على صالح السعدى يقول : إنه يفضل أن تنتظر الوحدة مائة سنة ، على أن يضحى بقيادة الحزب له .

« وهم مسئولون - ثانياً - عن إضعاف طاقات العمل العربى الموحَّد . إنهم بمجرد إسراعهم إلى الاشتراك فى مؤتمرات القمة العربية وقرارتها ، التى وجدوا

فيها تنفيساً لكربهم الداخلى - قد وافقوا علناً على المسالك المتعددة للعمل العربى ، ومن بينها العمل فى ظل الجامعة ، ولكن كل مزايداتهم ترمى إلى تحطيم إمكانيات هذا العمل دون إيجاد بديل عنه » .

*

● شعوبيون عابثون سفاحون :

وفى العراق كان البيان رقم (١) للمجلس الوطنى لقيادة الثورة فى ٨ نوفمبر ١٩٦٣ :

١ - ما قام به البعثيون العابثون الشعوبيون وسفاحو الحرس اللاقومى .. من اعتداء على الحريات ، وانتهاك للحرمات ، ومخالفة للقانون ، وإضرار عام للدولة والشعب والأمة ، أصبح أمراً لا يُطاق ، ويندى له الجبين .. لذلك نادى الشعب جيشه لإنقاذه من عبث العابثين وخيانة الخائنين .... » .

وفى ٦ يناير ١٩٦٤ قال المشير عبد السلام عارف مهاجماً حكم البعث : « لقد سوّلت لبعض المنحرفين أنفسهم ، فسلكوا مسلك الفساد والشعوبية والإلحاد ، وحاولوا التسلط والتحكم فى البلاد ، فثار الجيش واجتث الفساد من أصوله » .

وفى خطاب له فى ٧ فبراير ١٩٦٢ قال أيضاً عن البعثيين :

« لقد أراد هؤلاء العملاء الذين تدفعهم جهات خاصة أن ينفذوا مخططهم فى العراق مثلما نفذوه فى سوريا ، وقد بدأوا فعلاً بتنفيذه بإهانة الكرامة الإنسانية ، والاعتداء على حريات الناس وسلب أموالهم ، وهتك أعراضهم ، بصورة وحشية لم تخف عنكم .. وكانت مآسيهم قد بلغت ذروتها فى اليوم الثالث عشر من شهر تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٦٣ ، فقضينا عليهم ، وأنقذنا شعبنا من هذا الكابوس الجشع ، ومن المخطط الإلحادى الاستعمارى والجهنمى ..

« إن هؤلاء العملاء الحقيرين لا ترضيهم الوحدة العربية . إنهم يتعلقون بالاستعمار وبعملائه . إنهم الانفصاليون الذين يطلقون الشعارات المزيفة . إنهم

هم الذين وضعوا فى مخططاتهم إضعاف الجيوش العربية فى البلاد التى تنكب بهم ، لكيلا تستطيع الوقوف أمام مطامع الاستعمار ، ولكى ترضى عنهم الصهيونية العالمية .. » .

*

● حكم البعث فاشى بوليسى :

وفى بيروت فى ٢ نوفمبر ١٩٦٣ أصدرت « حركة القوميين العرب » بياناً قالت فيه : « إن حكم البعث الفاشى الذى يتحكم بالعراق قد تخطى كل العهود البوليسية التى شهدها العراق فى تاريخه الحديث . فحملة التصفيات المستمرة قد فاقت فى شمولها وأساليبها كل ما عرف شعب العراق طيلة الحكم الفاشى .. وإن موجة التعذيب الوحشية لا زالت تفتك بالآلاف من أبناء العراق ، وعمليات القتل فى سجون البعث جارية بدون توقف » .

*

● ارتياح الأوساط العميلة :

ومن بيان للاتحاد الاشتراكى العربى السورى :

« إن الأوساط العميلة لم تكن مرتاحة فى يوم من الأيام منذ عشر سنوات حتى الآن كما هى مرتاحة اليوم إلى هذا الوضع فى سوريا .. فالتخريب الكبير الذى أجراه حكم البعث خلال ثلاث سنوات قد بلغ مداه ، وعمليات تمزيق الجيش الوطنى وضرب قواه ببعضها قد وصل إلى حد إصابته بالشلل الكامل .. وصراع أطرافه وأجنحته على السلطة كاد يبلغ نهايته المحتومة » .

*

● الرشاوى والفضائح الأخلاقية :

وقالت جريدة « المحرر » البيروتية فى ١٣ إبريل ١٩٦٦ :

« لقد انتقل انهيار الحكم البعثى إلى صعيد جديد هو صعيد الرشاوى

والفضائح الأخلاقية ، فبالإضافة إلى كل المشاكل السابقة التى تعثر حلها أكثر من ذى قبل بدأت مشكلة اتهام فريق كبير من أعضاء الحزب بالرشوة والانتهازية والإثراء غير المشروع » .

*

● انتهازيون وخونة :

وفى ٢٣ إبريل ١٩٦٦ قالت نفس الصحيفة :

« لقد عمل البعث ، بعضه عن انتهازية وغرور وتعصب وطيش ، وبعضه عن خيانة وتآمر . لتنفيذ المخطط الاستعمارى بل والصهيونى .

« إن الفئة المغامرة التى قامت بانقلاب ٢٣ شباط (فبراير) جاءت لتقول : إنها جاءت لتقويم البعث وتصحيح انحرافاته . أما الفئة التى أُخْرِجت من السُلطة (القيادة القومية) فتنعت الفئة الحاكمة اليوم بالانحراف والخيانة والعمالة .. والحق أن فى كل من الفئتين خونة وعملاء .. فمثل هذا التخريب الكبير الذى مزق الشعب إلى طوائف وعشائر تتنازع ، وحوّل الجيش إلى قيادات ألوية وكتائب تتآمر على بعضها ، وتخندق ضد بعضها ، وتهدد البلاد بالدمار ، وتتلف السلاح الذى دفع ثمنه الشعب من قوته ودمه . ومثل هذا العبث الذى لا يعرف وازعاً ، بالقضايا المصيرية للشعب ، ولا يفيد إلا مصالح إسرائيل والاستعمار ، لا بد أن يكون وراءه خونة وعملاء . وكثيراً ما أشارت أطراف البعث المتناحرة إلى بعضها بتهمة الخيانة ، وكثيراً ما أشارت كل فئة إلى الصلات المشبوهة لعناصر من الفئة الأخرى ، وإلى عمالتهم لدوائر أجنبية ومصالح استعمارية » .

* *

● رأى البعثيين بعضهم فى بعض :

ولم يقف الأمر عند اتهام قاهرة ناصر ، وبغداد عارف ، وحركة القوميين العرب ، لحزب البعث وحكامه ، بل أقسى من ذلك وأصرح هو : اتهام البعثيين

بعضهم لبعض : اتهام السياسيين للعسكريين ، والعسكريين للسياسيين . اتهام القوميين للقُطْريين والقطريين للقوميين ، اتهام السوريين للعراقيين والعراقيين للسوريين ، اتهام الأجنحة المتطرفة أو اليسارية - للأجنحة المعتدلة - أو اليمينية بتعبيرهم - والأجنحة المعتدلة للأجنحة المتطرفة . بحيث لم تبق « ريشة » من « جناح » سليمة من دنس الخيانة والعمالة والتآمر .

ولا بأس أن أنقل للقارىء نموذجاً من هذه الاتهامات ففيها عبرة وتبصرة :

● الضباط والسياسة :

فى دمشق - ١٨ فبراير ١٩٦٦ - قال ميشيل عفلق ممثلاً للقيادة القومية :

« عندما يكون الضابط فى القيادة السياسية فإنه لن يكون قائداً حزبياً ولا قائداً شعبياً . وإن لغته لن تكون لغة العقيدة والحوار الحزبى الموضوعى وإنما لغة القوة والسلاح ! إن وجود عسكريين فى القيادة وفى الحكم مع احتفاظهم برتبتهم العسكرية وقطعاتهم العسكرية هو ابتعاد عن المنطق الثورى الجماهيرى ، إن وجود هؤلاء العسكريين هو فى الجيش ، وليس فى قيادة الحزب ، مهما كانت مسئولياتها ، ومهما كان مستواها ، وإلا فأين هو دور الحزب الجماهيرى الثورى ؟ أين هو دور الطبقات الكادحة التى نتحدث ليل نهار عن مصالحها وعن قيادتها للثورة ؟ أين هو دور المنظمات الشعبية » ؟

*

● البعثيون متآمرون ومخربون :

وفى دمشق - ٢٣ فبراير ١٩٦٦ - أصدرت القيادة القُطْرية بياناً يقول :

« من خلال نزعات التسلط والفردية ، ومن خلال المترددين الجبناء والمرتبطين فكرياً وتاريخياً مع مدارس الاحتراف السياسى ، حاولت قوى التخلف أن تحرف الثورة وتقودها إلى هاوية الحكم الفردى وأسلوب المساومة والارتماء . وإن استطاعت هذه القوى أن تنفذ إلى الحزب عن طريق فردية أمين الحافظ وتخاذل

محمد عمران ويمينية صلاح البيطار وأنانية ميشيل عفلق ، وتمكنت من جر الحزب إلى حافة التمزق والضياع ، فإن الحزب قرر أن يخوض المعركة معهم ويسحقهم إلى الأبد .

« لم يكن يهمهم أن يمزقوا وحدة الشعب فى سبيل تحقيق أغراضهم . لم يكن يهمهم أن يمزقوا وحدة الجيش لتنفيذ مآربهم . وازداد عفلق والبيطار تآمراً وتخريباً على الصعيد السياسى والشعبى ، فمدوا يدهم إلى كل انتهازى رخيص أو عدو متآمر .. وازداد كل من الحافظ وعمران تآمراً وتخريباً ، يغذيان الطائفية والعشائرية والإقليمية بالجيش .. إن مَن يخون رفاقه لا بد أن يخون شعبه » .

وأصدر اتحاد نقابات العمال البعثى فى دمشق - ٢٤ فبراير ١٩٦٦ - بياناً قال فيه :

« إن الاتحاد العام لنقابات العمال فى سوريا يندد بسياسة حكومة صلاح البيطار التى عملت بكافة الوسائل على تشجيع الرجعية والانتهازية ، والتى استهترت بمصالح الطبقة العاملة وجماهير الشعب الكادحة » .

*

● عصابة من الانتهازيين :

وقالت جريدة « الأحرار » الناطقة بلسان القيادة القومية لحزب البعث فى بيروت (٢٥ فبراير ١٩٦٦) :

« إن الزمرة العسكرية المتمردة فى دمشق تقف الآن فى الطريق المسدود . وليس لديها ما تقوله غير الأكاذيب ، وما تقدمه للناس غير الأسلاك الشائكة والسجون وفوهات مدافع الدبابات . لقد عزلت هذه الزمرة نفسها ، فى غمرة طيشها ومناوراتها ومؤامراتها وشهواتها للحكم ، عن الشعب ، لأنها جعلته يشعر أن الدولة عصابة من الانتهازيين والوصوليين تحارب الفكر والكفاءة والإخلاص والبساطة والتضحية . إن قمة فشل هذه الزمرة سيكون نجاحها فى التحكم بسوريا . إذ ستعيش سجينة عزلتها الرهيبة عن التقدم والمبادىء الأخلاقية .

« إن التسلط هو الهدف الأول ، دون أى اعتبار للوسيلة والنتائج .. أما مصدر الشرعية فهو قوة السلاح والإذاعة » .

*

● ورجعيون أيضاً :

وقالت جريدة « الثورة » (دمشق - ٦ مارس ١٩٦٦) :

« لقد وقفت حركة ٢٣ شباط (فبراير) ضد أمين الحافظ عندما أراد أن يمد يده ويستعدى الفئات الرجعية على الحزب ، وينقل حكم الثورة إلى أيد غير سليمة ببهلوانية السياسى المحترف ، ويطرح شعارات غريبة كالطائفية وغيرها .. لكن الرجعية لن تخدعنا سواء أتت إلينا بوجه أمين الحافظ أو بأى وجه آخر » .

*

● انتهى حزب البعث :

وقال على صالح السعدى (بيروت - ١١ مارس ١٩٦٦) :

« أنا أعتقد أن الإرهاب الحقيقى لم يكن بالسحل ولا بالقتل ، بقدر ما هو ارهاب الأعصاب التى أرهبت كل عائلة يومياً وباستمرار ، والذى أدى إلى حالات الانهيار العصبى فى العراق الآن ، تظهر بعد حالات الهدوء ، وتظهر بشكل حالات بين الشباب والأطفال والنساء فى كل عائلة » .

وفى ١١ إبريل ١٩٦٦ فى القاهرة قال :

« لقد انتهى حزب البعث تاريخياً وموضوعياً » .

*

● تقدميون تساندهم كل القُوَى المشبوهة :

وقالت جريدة « الأحرار » (بيروت - ١٢ مارس ١٩٦٦) :

« منذ اليوم الأول لانقلاب البعثيين القُطْريين على البعثيين القوميين ، وهم

يتحدثون عن اليسار واليسارية . وقد أحاطتهم أجهزة الإعلام الغربية ، من وكالات الأنباء الأجنبية ، إلى الصحف المعروفة فى بيروت ، إلى الأوساط الرجعية والانفصالية فى كل مكان ، بحملة دعائية مساعدة للحكم القائم فى سوريا على دهن نفسه بالدهان اليسارى المزيف . لكن ذلك أعجز من أن يغطى حقيقته اليمينية الفاشيستية » .

وأصدرت القيادة القومية للحزب بياناً فى بيروت (٣ إبريل ١٩٦٦) : « بعد حركة ٢٣ شباط (فبراير) عقد مؤتمر للاتحادات المهنية للعمال ، وفرضت السلطة العسكرية قائمة استعملت فى سبيل إنجاحها كل وسائل الوعيد والتهديد والإغراء ، واعتقل النقابيون الذين كانوا ينوون ترشيح أنفسهم ، ليخرجوا مَن أرادوا من أزلامهم ورجالهم ممن لا يمتون إلى الحركة العمالية بصلة .

« ولن نتحدث عن اتحاد الفلاحين فهو اتحاد معيَّن من قِبَلهم . ولكن حتى هذا الاتحاد هو مجرد وسيلة بيد السُلطة تحركه كيف تشاء .. ولم تستجب السُلطة لأى طلب من مطالب الفلاحين ، وموقفها منهم أيام أزمة تسويق القطن بعد تأميمه موقف معروف ، أما اتحاد الطلبة فيكفى أن نشير إلى موقفها منهم واعتقالها لكل مَن لا يساندها فى خطها التعسفى ، وعدم اعترافها به حتى الآن .

« إن القيادة القُطْرية فى دمشق هى التى شجعت روح الانتهاز والتطلع إلى السُلطة والمراكز والرواتب العليا المغرية ، فخلقت طبقة جديدة من المنتفعين ، الذين تقول إنها ستضع لمحاسبتهم قانوناً للعقوبات الاقتصادية . فكيف تجرؤ على محاسبتهم وهى التى خلقتهم ودفعتهم فى طريق الانتهازية من أجل أن يكونوا آلات مسيِّرة فى يديها ؟ لقد أصبحت الطبقة الجديدة موضع سخرية الناس كلهم ، وموضع استهزائهم ، مع أنهم هم قاعدة القيادة القُطْرية وقوتها » .

وفى مطلع شهر أيلول (سبتمبر) ١٩٦٦ نشرت القيادة القومية لحزب البعث بياناً جاء فيه ما يلى :

« إن الذين يحاولون أن يصوِّروا ما حدث فى القُطر العربى السورى يوم ٢٣ شباط (فبراير) بصورة خلاف حزبى داخلى ، يرتكبون خطأً جسيماً فى حق شعبهم وحق أمتهم . فهذا الصراع وإن اتخذ شكل الصراع بين جناحين داخل الحزب الواحد . هو صراع بين إعطاء شعارات التقدم محتواها ومضمونها ، وبين إفراغها من كل محتوى ومضمون .

« إنها ليست قضية حزب أو لا حزب ، إلا بقدر ما هى قضية شعب أو لا شعب ، قضية وحدة أو انفصال ، قضية اشتراكية أو ديكتاتورية متشحة بوشاح الاشتراكية ، قضية ديمقراطية للجماهير أو حكم عسكرى فاشى يختلق أشكال الديمقراطية من أجل التستر وراءها .

« هذه هى القضية فى أساسها .

« من أجل ذلك ، فالمواطنون العرب ، المخلصون ، الصادقون ، التقدميون عن وعى وإيمان ، مدعوون إلى الدخول فى المعركة ، معركة الثورة ضد الثورة المضادة .

« وليس أدل على ما نقول من أثر ٢٣ شباط (فبراير) فى السياسة العربية والدولية للقطر السورى » . .

* *

● القوميون العرب عملاء :

فى ١٧ أكتوبر ١٩٦٥ كتبت جريدة « العمل والعمال » البغدادية تقول :

« بينما كان الرئيس البطل عبد السلام محمد عارف فى مؤتمر القمة العربى يعمل من أجل التضامن العربى ودفع الأمة العربية إلى ميدان العمل الواحد لاسترداد فلسطين وتحرير الأجزاء العربية من السيطرة الاستعمارية ، استغل هؤلاء الذين يطلقون على أنفسهم « حركة القوميين العرب » غياب السيد الرئيس بالتعاون مع بعض المغامرين من ذوى الضمائر الميتة التى لا تدرك

المصلحة القومية العليا فوضعوا مخططاً كاملاً للتآمر على كياننا الثورى العتيد . إلا أن العيون المخلصة كانت تراقبهم وتحصى حركاتهم وسكناتهم . وما كادوا يبدأون بتنفيذ مخططهم الإجرامى حتى أحبطت المؤامرة خلال لحظات ، وكُنسوا بأسرع مما كان متوقعاً ، وذلك بفضل جهود المخلصين من رجال قواتنا الوطنية المسلحة وقادتها الغر الميامين .

« إن هؤلاء الذين يسمون أنفسهم بحركة القوميين العرب ومَن لف لفهم لن يستطيعوا إخفاء علاقتهم بالدوائر الاستعمارية والمخابرات الأجنبية ، والأموال الطائلة التى حصلوا عليها من الجهات المشبوهة بقصد تنفيذ مؤامراتهم الدنيئة هذه ، والتى دلتنا المعلومات الأولية التى رافقت اكتشافها مدى العلاقة الوثيقة بين هذه الفئة الضالة والجهات الأجنبية المتعاونة معها والمرتبطة بحلف « السنتو » ودوائر التجسس الأمريكية ، وكذلك الارتباط المشبوه بينها وبين الرجعية المحلية التى موّنتها بالمال والسلاح ، والتى نترك أمر توضيحها إلى السُلطات المختصة .

« فإلى اليقظة والحذر يا جماهيرنا الوحدوية الاشتراكية المناضلة . والخزى والعار لحركة القوميين العرب عملاء « چورچ حبش » عميل الدوائر الاستعمارية الأجنبية » .

* *

● رأيهم فى الحكم الناصرى :

فى ١٧ يوليو ١٩٦٣ ألقى أمين الحافظ خطاباً فى حمص قال فيه :

« نقول لحكام مصر : إن الذى يؤمن بالله وبما أنزل من عنده حقاً . لا يتآمر على عباده ، ولا يسرق أموال شعبه البائس ، فيصرفها على التآمر والغدر والخيانة والكذب والدجل » !

وفى دمشق - ١٦ ديسمبر ١٩٦٣ - قال فيلسوف حزب البعث وأمينه العام ميشيل عفلق :

« إن السياسة التى اتبعتها البيروقراطية الإقليمية اللاعقائدية التى تحكم

القاهرة ، كانت مع الأسف الشديد نسخة عن سياسة الأجهزة التى كانت تحكم القاهرة قبل عام ١٩٥٢ ، أى سياسة إقليمية توسعية قصيرة النظر ، تخطط وتعمل لإضعاف الأقطار العربية ، لتبقى هى المتفوقة والمسيطرة ، فلا تقوم ثورة إلا إذا عملت لهذه الأجهزة » !

وفى مباحثات الوحدة الثلاثية المنشورة فى شهر إبريل ١٩٦٣ قال على صالح السعدى :

« دائماً يربط الشيوعيون نظام الرئيس عبد الناصر بأنه أمريكى ، ويأتون بالحُجَج الكثيرة على ذلك » .

وقال عبد الكريم زهور البعثى السورى :

« كان الاتحاد القومى فراغاً منذ نشأته ، وقد قضى هذا الفراغ على الوحدة » .

وفى ٢٨ سبتمبر ١٩٦٣ أصدر المجلس الوطنى لقيادة الثورة بدمشق بياناً قال فيه :

« إن ثورة ٢٣ يوليو تعانى منذ ولادتها ، هذه الأزمة التى صرفتها عن الاتجاه الشعبى الديمقراطى التقدمى . لقد قامت أول ما قامت دون ركائز شعبية ، ولكن الشعب دعمها لا فى مصر وحدها وإنما فى كل دنيا العرب ، ولكنها نظرت إلى الشعب من أعلى ، واستطاعت القوى المعادية لها والمستغلة لكل حكم أن تنفذ إليها ، حاملة معها زيف الانتهازية وزلفاها فكوّنت طبقة بيروقراطية من بقايا حكم فاروق ، وأحاطت الحكم بمجموعة من الأجهزة المتآمرة عليه ، بل على كل اتجاه ثورى . وبمرور الزمن أصبحت شيئاً منه متمماً لبنائه العضوى وأخذت بأساليبها تضرب الاتجاه العربى الوحدوى فى مصر .. وتمتص دم الشعب وتعيش حياة البذخ والرخاء على حساب الجماهير البائسة الشقية ، تلك الطبقة تمثل الحكم وتخدعه وتلهيه ببهرج السلطان عن قضايا الشعب الأساسية . الملايين تُنفق على أجهزة الإعلام وعلى جحافل « الردّاحين » والشتّامين والمضلّلين ،

وعلى الذين يشوّهون الحقائق على الشعب ، بينما يتضور العمال والفلاحون جوعاً . أما كان أجدى للحكم أن يحوّل هذه الملايين التى تُنفق على ضرب القضية العربية إلى إيجاد مرافق تنتشل الشعب العربى فى مصر من وهدة العوز والفاقة » ؟

وفى دمشق - ٢ يونية ١٩٦٥ - قالت جريدة « البعث » :

« عندما وجّه الرئيس عبد الناصر الدعوة إلى مؤتمر القمة العربى الأول كان فى رأس شعارات المؤتمر والدوافع إليه : منع إسرائل من تحويل نهر الأردن . وانتهى مؤتمر القمة الأول . وانقلب الشعار من منع إسرائيل من تحويل نهر الأردن ، إلى قرار من الملوك والرؤساء بقيام الدول العربية بتحويل روافد نهر الأردن .

« وزيّن للأمة العربية فى البدء أن منع إسرائيل من التحويل هو أولى بالبحث وأسرع من التحرير .

« ثم أدخل فى قناعتها أن التخلى عن منع إسرائيل ، واعتماد مشروع الروافد أكثر أهمية وإلحاحاً وفائدة من منع تنفيذ المشروع الإسرائيلى لتحويل نهر الأردن .

« واليوم يقف الرئيس جمال عبد الناصر ليدعو أمام الأمة العربية ، إلى تأجيل تحويل روافد الأردن « حتى نستطيع تأمين حمايته » .

« إن سوريا لا تطلب الطائرات للتزين وللاستعراضات .. وليست هى التى تملأ الأرض والسماء ولا المشرق والمغرب بالقول أن قوتها الجوية ، بالقاذفات والصواريخ ، هى الأولى فى الشرق الأوسط .. ولا هى التى تضغط على أصدقائها فى العالَم وفى الوطن العربى لقطع القروض عن إحدى شقيقاتها .. ولا هى التى تحتفظ لديها بعشرات الطائرات التى يجب إنهاء قضيتها المعلقة نظراً لتلاحق الأحداث وخطورة الظروف » .

وفى نفس اليوم قالت جريدة « الثورة » البعثية :

« لم تنفَّذ أية خطة .. ولم تتحرك أية قوة .. بل وقف الرئيس جمال عبد الناصر بالأمس ليقول ما معناه : إن سياسة المؤتمرات والقيادة الموحدة ليست عملاً ثورياً .. وإنما هى خطة « جانبية » لتحقيق فوائد جزئية للقضية الفلسطينية .. واعترف بأنه ليست هناك أية خطة للدفاع ولا للهجوم .. وأن الحماية العربية لمشاريع الاستثمار ليست إلا وهماً .

« لقد اعترف عبد الناصر بأنه لا يمكن استثمار الروافد بدون حماية .. الروافد تحمى بقوة ردع عربية مشتركة تحوّلت إلى تنصل كامل من القدرة على منع التحويل الإسرائيلى ومن جدوى الاستثمار .. فماذا بقى من عبد الناصر بالنسبة إلى فلسطين » ؟

وفى بيروت - ٢ يونية ١٩٦٥ - قالت جريدة « الأحرار » الناطقة بلسان القيادة القومية لحزب البعث :

« قبل التحويل أعلنت الجمهورية العربية المتحدة على لسان رئيسها ونائب رئيسها الأول أنها ستمنع التحويل الإسرائيلى بالقوة . وكررت هذا التهديد الحازم مرات عديدة طيلة ثلاث سنوات . وتأكيداً على هذا العزم أوضحت مصادر القاهرة أن الجيش العربى المصرى هو أقوى جيش فى منطقة الشرق الأوسط براً وبحراً وجواً ، وأن باستطاعته سحق إسرائيل بمدة قصيرة جداً .

« إلا أن إسرائيل . مدعومة بالولايات المتحدة ، نفذت مشروعها ولم تُسحق .

« فدعا الرئيس إلى مؤتمر الذروة للقيام بعمل عربى مشترك ، لا سيما وأن الرأى العام العربى أصيب بذهول وخيبة كبيرين انصب أكثرهما على الرئيس عبد الناصر بصفته أقوى زعيم عربى .

« وقد اعتبر عدد من المتشائمين هذا المؤتمر تغطية للهزيمة العربية وتمييعاً للقضية الفلسطينية عن طريق توزيع المسئولية على جميع الحكومات العربية .

« فجاء الجو الذى تلا المؤتمر يغذى اتهامات المتشائمين ، إذ أن قضية تحرير فلسطين ومنع التحويل غرقت وراء مشروع تحويل الروافد العربية .. لقد وُجِّهت الصحف ، والتعليقات بشكل يوحى أن التحويل الإسرائيلى لنهر الأردن لن يكون له أهمية طالما أن العرب سوف يحوِّلون روافدهم .

« وهذا التوجيه المبنى على المغالطة هو الذى أثار الاحتكاك الأول بين القُطْر السورى وعدد من الحكام العرب .. لقد كان التوجيه الدعائى مناقضاً للتعهدات التى كرست داخل المؤتمر من أن الهدف الأساسى والحل السليم الوحيد هو تحرير فلسطين .

« والأزمة التى جعلت القُطْر السورى ينتقد القيادة الموحدة هى غياب القيادة فى المعركة التى أنشئت من أجل مجابهتها .

« لقد اعتدت إسرائيل فى المرة الأولى على أماكن التحويل فردت سوريا على الهجوم وأبلغت القيادة العربية الموحدة بالأمر طالبة منها اتخاذ موقف ، فاكتفت القيادة بالتبلغ والتبليغ .

« ثم اعتدت إسرائيل مرة ثانية وأبلغت سوريا القيادة العربية الموحدة موضحة مدى الحشود الإسرائيلية وطالبة منها الإسهام فى الحماية الجوية ، فكان جواب القيادة العربية الموحدة : « أنا لا أملك شيئاً ، راجعوا مباشرة الرئيس عبد الناصر .. » .

وفى اليوم التالى - ٣ يونية ١٩٦٥ - قالت الجريدة نفسها :

« بسبب فلسطين جاء عبد الناصر ، وبسببها ومنها أخذ الزعامة ، وتقدمت منه سوريا على طبق من فضة لا إكراماً لسواد عينيه ، بل إكراماً وإنقاذاً لفلسطين .

« وعبد الناصر هو الذى أمر موظف التقارير عنده - محمد حسنين هيكل - ليكتب أن « مؤامرات القمة أضاعت من عمر النضال العربى سنتين من الزمن

وهدرت الطاقات الثورية » وعبد الناصر هو الذى اقترح « مشاريع التحويل » ووصفها بأنها الخلاص وبأنها الدواء » .

وقالت إذاعة البعث من دمشق فى ٦ يونية ١٩٦٥ :

« لسنا نحن المسئولين عن هذه الأزمة الكبرى التى وقع فيها الرئيس عبد الناصر والتى تستعين أجهزته على انقاذه منها بشتّى الاختلاقات والتناقضات والمغالطات والمعارك الجانبية مع حزب البعث ..

« لسنا نحن الذين دعونا مؤتمر القمة لمنع التحويل الإسرائيلى ، ولا نحن الذين حوّلناه لاتجاه تحويل الروافد ، ثم تخلينا عن المنع وعن التحويل ، وتركنا الجماهير العربية ضائعة خائبة يائسة من التحويل فكيف بالتحرير ؟

« لسنا نحن الذين تكلمنا لغتين : لغة للغرب ولغة للعرب ، لغة لطمأنة الذين لا تأتى قروض ولا مساعدة ولا أغذية دون طمأنتهم ، ولغة لطمأنة العرب .

« لسنا نحن الذين ألقينا خطاباً ثبطنا فيه العزائم العربية واحتقرنا المقاومة العربية وجرحنا الكرامة العربية أمام إسرائيل والعالم . ثم أسرعنا نستدرك التصريحات العنترية والإنقاذية حول حق وكرامة وتحرر العرب .

« لسنا نحن الذين نطلق كل يوم أكذوبة ، فإذا ما افتضح ما أحدثت تصريحاتنا فى أعماق النفوس العربية ، وفى أقدس قضية نطلب غيرها ، وشعارنا : اكذب ثم اكذب .

« إن أزمة الرئيس عبد الناصر هى مع الشعب العربى كله وأبناء فلسطين خاصة . وقد أعطته هذه الجماهير ما لم تعطه لقائد آخر من الولاء والمحبة والثقة .. وائتمنته على أعز أمانيها .. وهى تسأله الآن بصوت عال مدو يربك المفرطين ويخيف المترددين : أين الأمانة » ؟

* *

● قليل من كثير :

هذه نبذ ومقتطفات يسيرة جداً ، من أقوال الثوريين بعضهم فى بعض [١] .. وهى إن دلت على شىء فإنما تدل على أن هؤلاء الذين ينادون جميعاً بأهداف - أو قل شعارات - واحدة ، هى الوحدة والحرية والاشتراكية ، لا يمكن أن تقوم بينهم وحدة حقيقية ، وبينهم هذا الخلاف العميق .

ولعل من رحمة اللّه بأمتنا ألا يتفقوا .. فإنهم قلّما يتفقون إلا على باطل أو شر يبيتونه للشعوب المقهورة [٢] .. ولم نعرف بينهم اتفاقاً على البِرِّ والتقوى .

ولهذا لا يأسى كثير من العقلاء العرب كلما قرأ أو سمع أنباء الخلافات والاتهامات ، بل الانقلابات من جماعات الثوريين بعضهم على بعض . من قوميين على قُطْريين ، وقُطْريين على قوميين ، ويساريين على يمينيين ، ويمينيين على يساريين ، وحركيين على بعثيين ، وبعثيين على ناصريين ، فإن اختلافهم رحمة ، ومن هذه الرحمة ما سجلناه من حقائق ووقائع منقولة عن المصادر الثورية . وقد قيل : إذا اختلف اللصان ظهر المسروق .. وكان من دعاء سَلَفنا : اللّهم اشغل الظالمين بالظالمين ، وأخرجنا من بينهم سالمين !

* *

● انعكاس الخلافات الثورية على المقاومة الفلسطينية :

ولقد انعكست هذه الانقسامات « الثورية » على « المقاومة الفلسطينية » التى هى أحوج ما تكون إلى وحدة الصف فى مواجهة العدو الذى اغتصب الأرض ، وشرّد الشعب ، وأذلّ العرب ، ودنّس المقدسات .

ولسنا نعرف ولا يعرف الناس عاملاً أقوى - فى توحيد المختلفين ، وتجميع

---

(١) مَن أراد الاستزادة من هذه الأقوال فليقرأ كتاب « وثائق النكسة » الذى جمعته ونشرته « دار الكاتب العربى » فى بيروت ، ففيه قدر لا بأس به .

(٢) فى المثل : إذا اصطلح الفأر والهرة خربت دكان البقال .

المفترقين - من المعركة مع عدو لئيم منتصر .. ففى الميدان تُنسَى الخلافات ، ولا يُذكر إلا العدو المشترك .

ولكن القُوَى اليسارية - دولاً وأحزاباً وحركات - جعلت من المقاومة حقلاً لتجاربها الدعائية ، ومزايداتها الثورية ، فغدت الحركة الفدائية مرآة عاكسة لما يعانيه الصف العربى على يد اليسار التقدمى .

وبعد أن كانت حركة « فتح » هى المنفردة بالعمل قبل نكبة ١٩٦٧ - أى حين لم يكن للدولة المهزومة حاجة إلى عِمل فدائى - أصبحنا بعد النكبة نرى فى ساحة المقاومة منظمات وحركات بلغت بضع عشرة : هذه تتبع البعث العراقى ، وتلك تنبع البعث السورى ، وثالثة تتبع القوميين الجورجيين ، وأخرى تتبع الحواتميين ، هذه جبهة شعبية ، وتلك جبهة ديمقراطية ، وأخرى جبهة عاملة لتحرير فلسطين .. إلى آخر تلك الجبهات والحركات ، التى لم يكن هم أكثرها الفداء بل الدعاية . ولم يكن عدوها اليهود بل الإمبريالية والرجعية .. ولم يكن ميدانها أرض فلسطين حيث العدو الغاصب ، بل مطارات أوروبا وغيرها حيث تسهل بدعة خطف الطائرات .. أو نسف خط « التابلاين » وما شاكله .

* *

● العربى يقتل العربى :

وفى عهد الثورية الاشتراكية العربية سجّل التاريخ عليها ، بمداد من الدمع والدم ، واحدة من أعظم الخطايا - ولا أقول الأخطاء - سواء نظرنا إليها بالمعيار القومى ، أم الإسلامى ، أم الإنسانى .

ذلك أن السلاح الذى اشترى من قوت شعوبنا ، وعصارة أرزاقنا لنواجه به « إسرائيل » العدو الرابض فى أرضنا ، لم يوجَّه إلى صدر إسرائيل ولا رأسها ، ولا قدميها ، ولا مسّ ظفر من أظافرها .. وإنما وُجِّه هذا السلاح لقتال الأخوة العرب ، وقتل الأشقاء العرب ، فى أرض اليمن الشقيق .. وظهرت « البطولات العربية » (!!) فى قصف القرى العربية الوادعة ، بالطيران العربى الباسل !!

* *

● العالم العربى اليوم :

ورغم أن العالَم العربى اليوم - أواخر تموز (يوليو) ١٩٧١ - يواجه مرحلة من أخطر المراحل فى حياته ، فلا يزال التمزق والانقسام ، هو الطابع العام للعلاقات بين الدول العربية بعضها وبعض .. تقول صحيفة « الحياة » البيروتية فى ٢٧ يوليو ١٩٧١ فى بابها الدائم « دنيا العرب » :

« إذا ألقينا نظرة خاطفة على الوضع العربى العام ، كما يبدو فى الوقت الحاضر ، هل تجد غير الجفاء والفُرقة والتمزق والانقسامات ، مع العلم أن الرئيس السادات أكد أن الأشهر المتبقية من هذا العام - أى خمسة أشهر فقط - ستكون حاسمة الصراع العربى الإسرائيلى ، سلماً أو حرباً ؟

« إن صورة العالم العربى اليوم تبدو قاتمة مظلمة تبعث الأسى فى النفس وتكاد تدعو إلى اليأس من إمكانية إصلاحها وتحويلها إلى الصورة التى تتطلبها مقتضيات المعركة .. فالعلاقات بين ليبيا وبين كل من المغرب والأردن مقطوعة ، وبينها وبين العراق سلبية .. والعلاقات بين السودان والعراق مقطوعة ، وبين العراق وسوريا فاترة ، وبينه وبين الأردن مقطوعة والحدود مغلقة .

« وكذلك الحدود بين سوريا والأردن مغلقة ، والعلاقات الأردنية المصرية شبه مشلولة .. أما الأردن فإن الوضع بينه وبين المقاومة الفلسطينية متأزم بشكل يكاد يكون ميئوساً من إصلاحه لولا الجهود المضنية التى يواصل العديد من الدول العربية - وخاصة السعودية وتونس ولبنان - بذلها فى سبيل التوفيق بينهما .

« والأمل معقود على اقتران هذه الجهود بنتائج إيجابية قريباً ، لأن مثل هذه النتائج تفتح الطريق إلى إصلاح الموقف العربى بعض الشىء وتساعد على تمهيد السبيل لإعادة إنشاء الجبهة الشرقية التى هى من المستلزمات الأساسية والضروريات الحيوية للمعركة المقبلة مع العدو .

« وإلى أن تتحقق هذه الأمنية ، يبقى الانقسام العربى كما يبدو فى الوقت

الراهن مدعاة للأسف والألم من جهة .. وموحياً ، من جهة أخرى ، بأن العرب - على المستوى الرسمى - غير جادين فيما يعلنونه للملأ ولشعوبهم بوجه خاص ، من أنهم جادون فى اتخاذ الاستعدادات اللازمة لمجابهة المرحلة الحاسمة المقبلة - هذه المرحلة التى تستدعى دفن كل الخلافات و « العقائديات » ! ، والمبادرة إلى توحيد الصف العربى ، وتعبئة كل الطاقات والإمكانيات العربية فى مواجهتها ، تفادياً من حزيران (يونيه) آخر على الأقل ! .. إن لم يكن لضمان النصر العربى » .

* * *

obeikandl.com